



• أسماء القطيبي

## مفهوم الخير في الفلسفة بين التعريف والتمثيل

في مقاله بمجلة التفاهم «قيمة الخير بين أفلاطون والفلسفة الحديثة» يتناول الباحث سعيد بنتاجر مفهوم الخير بين الفلسفة القديمة المتمثلة في محاورات أفلاطون وتلامذته، والخير في الفلسفة الحديثة من خلال نظريات كانط ونييتشه وجورج إدوارد مور. وذلك من خلال تحديد معنى الخير وطبيعته، واختلافه في السياقين الفردي والاجتماعي. وتتمثل صعوبة البحث في هذا المدلول كون الحديث عن القيم يُعيدنا للتساؤل عمّا إذا كانت القيم أصلاً ذات وجود موضوعي مستقل أم أنّها نابعة من الذات أو لأجل الذات، وعمّا إذا كانت القيم الأخلاقية «ومنها الخير- نسبية أو مطلقة، وعن القيم الأسمى والقيم التابعة وغيرها من الإشكالات التي تناولها الفلاسفة عبر العصور من مناظير مختلفة.

حاول الفلاسفة القدماء تطبيقها على جميع أفراد المجتمع.

كما تناول المقال رأي الفيلسوف جورج إدوارد مور وهو أحد رواد الفلسفة التحليلية التي تعتمد على النقد. كان يرى أنّ الخير مفهوم بسيط لا يُمكن تعريفه وأن ربط الخير بالسعادة تارة وباللذة تارة أو غير ذلك هو مغالطة. ولأنّ الخير مفهوم أساسي وغير مركب فإنّ مور يعده رأس الأخلاق وأصلاً تسعى جميع القيم للوصول إليه؛ لأنه كلما زادت القيمة زاد الخير. ويمكن التعرف على الخير من وجوده كمحمول أو صفة لغيره. ويفضل الباحث بنتاجر فلسفة مور في تطبيق الخير بقوله: «غير أنّ البعد التطبيقي لا ينتمي إلى علم الأخلاق الذي اتخذ من مفهوم الخير موضوعاً له بل من فرع من فروع وهو الأخلاق التطبيقية، وهو الذي يقوم على التصورات الأخلاقية ذات الطابع العملي التوجيهي للسلوك الإنساني بكيفيات مثل «الواجب» و«ينبغي» ومعايير السلوك الجيد والسيئ وغير ذلك. يثبت مور أنّ هذه الكيفيات تمثل القيم الوصلية التي لا تكون قيماً إلا بما تحمله من خير وتؤدي به إلى الأمور الخيرة».

يبدو مفهوم الخير مفهوماً معقداً حد عجز الفلاسفة عن وضع تعاريف له، لذا لجأ أغلبهم للتدليل عليه من خلال التشبيهات والاستعارات أو جعله كمحمول يستدل عليه من خلال أثره. وقد حاول الباحث بنتاجر شمل آراء أربعة فلاسفة في فترات زمنية متباينة حول الخير مما أجبره على العروج لتفرعات كثيرة تفسر النظريات الأساسية التي تنطلق منها فلاسفات أفلاطون ونييتشه وكانط ومور. ومع ذلك فإنّ المبحث متشعب أكثر مما يبدو بحيث من الأفضل إفراد مبحث لكل فلسفة على حدة لتأخذ نصيبها من الشرح والتوضيح.

اشترك مع أفلاطون في اعتبار الخير قيمة أخلاقية علياً لكنه عد الخير صفة موجودة في الذات وليست موضوعاً مستقلاً يطلبه الإنسان. وهذا التصور هو امتداد لفلسفة كانط التي تجعل من العقل وحده «بغض النظر عن الظروف المحيطة- مصدر القانون الأخلاقي ومطبقه. وافترض أنّ «الإرادة الخيرة» هي القيمة التي تدفع الشخص للالتزام بالفعل الصحيح والتحلي بالأخلاق الفضلى. إن فلسفة كانط تعول على الوعي الذاتي وتفترض بأن الإرادة الحرة للإنسان كافية لوحدها لتحقيق السلام والعدالة واحترام القانون. ولأنّ الدافع الأخلاقي لا يجلب السعادة بالضرورة فقد سعى كانط لربط ذلك بالدين لتكوين ما يسمى بالخير الأسمى الذي يجمع العقل والعاطفة معاً.

يُعد نييتشه واحداً من أكثر الفلاسفة جرأة كونه استطاع نقد الفلسفة الأخلاقية لأفلاطون ومن بعده بنبرة واثقة. فقد كان نييتشه يرى أنّ الفلسفة التقليدية تميل إلى الوهم أكثر من الحقيقة، كما أنّ معاييرها وتوجهاتها قيم مُعادية للحياة. وكون الخير نقطة محورية في الفلسفة التقليدية فقد انطلق نييتشه منها في نقده وفلسفته الجديدة؛ حيث ذكر نييتشه أنّ القيم الأخلاقية ماهي إلا نقائص وضعها الضعفاء لتغطية نقائصهم وأجبروا الأقوياء على الاحتكام لها بدل الاحتكام إلى القيم التي تُعبر عنهم مثل القوة والتعالى. فمثلاً يرى نييتشه أنّ الخير عند الضعفاء يُقابل الشر بينما عند الأقوياء يقابل الوضاعة، والفرق بين الوضاعة والشر كبير؛ لأنّ الشر يفترض الدناءة وإضمار الحقد بينما الوضاعة هي افتقاد للقيم النبيلة السامية كالكرم أو الشجاعة. ودعا نييتشه في فلسفته إلى الإقرار بوجود صراع بين نوعين من الأخلاق دون أن تكون هناك غلبة لأحدهما، وأن مهمة الفرد هي السعي للإنسان الأعلى بطريقته لا بالمعايير الصارمة التي

يُعد أفلاطون واحداً من أوائل الفلاسفة الذين جعلوا للخير مكانة مركزية في مباحثهم، وتصنف فلسفة أفلاطون ضمن فلسفة السعادة وهي الفلسفة الساعية لتحقيق السعادة للفرد وللمجتمع، حيث يرى أفلاطون أنّ السعادة يجب أن تتحقق أولاً بالعدالة في المدينة عن طريق سن نظام اجتماعي سياسي واقتصادي يضمن التعايش السلمي بين الأفراد في مختلف طبقاتهم (الحكام والمحترفين والحراس)، وهو ما ينعكس بالتالي على الفرد ويُحقق له السعادة. ولا يمكن بالطبع تحقيق العدالة إلا بوجود الخير كقيمة علياً، ولتقريب الصورة فقد قسم أفلاطون العوالم إلى عالم حسي متمثل في الموجودات وعالم المُثل الذي يتضمن جميع القيم والأخلاقيات. ولما أنّ كان من الصعب وضع مفاهيم للقيم فقد اعتمد أفلاطون في تقريب معانيها على المحسوسات وفي معرفة الخير يقول: «كما أنّ من الجائز عد النور والبصيرة شبيهين بالشمس لا يجوز الاعتقاد أنّهما هما الشمس، فكذلك المعرفة والحقيقة يجوز عدّها شبيهين بالخير، ولكن الاعتقاد أنّهما الخير أمر غير مقبول». ويرى الباحث سعيد بنتاجر أنّه رغم أنّ أفلاطون ينظر للخير من مفهوم ميتافيزيقي إلا أنّه استحضره في السياق السياسي عند تصوره للمدينة الفاضلة مما أعطاه قيمة أخلاقية. كما أنّ ذلك أعطى للخير نسبية وجعل منه وسيلة مرتبطة بالسعادة وقابلة للقياس طبقاً لحالة المدينة وأفرادها ومدى تعايشهم.

مع تطور العلوم وتعدد النظريات الفلسفية ظلت فكرة الخير التي صاغها أفلاطون حاضرة بقوة في تنظيرات ديكارت ومن جاء بعده. وفي مقال «قيمة الخير بين أفلاطون والفلسفة الحديثة» تناول الباحث سعيد بنتاجر مفهوم الخير لدى كانط ونييتشه ومور كونهم نظروا حول الخير من رؤى متعددة. فكانت مثلاً